دكتور بهاء الأمير

نقد نظرية الأكوان المتوازية

السؤال

السلام عليكم، ما رأي الدكتور بهاء بنظرية الاكوان المتعددة أو المتوازية، هل هي هروب من نظرية التطور الداروينية وامتداد لفكرة نفي الألوهية والخلق؟

وسؤال آخر، ما رأي الدكتور بما يسمى العقلانيين والعقلانية ومن يسمون أنفسهم مفكرين وباحثين إسلاميين، وكمية الأباطيل والمغالطات وتفاسير غريبة ونظريات عجيبة عن القرآن والسنة، وهل يمكن أن تكون لبعضهم علاقة بجمعيات ومنظمات سرية أو أجهزة مخابرات غربية؟

الإجابة

١

مع سقوط النصوص والكنيسة في الغرب، حل العلم الطبيعي، وخصوصاً الفيزياء وعلم الفلك، محلها كمصدر لفهم الوجود وكيف تكون الكون وظهرت المخلوقات وصلة ذلك بمسألة الألوهية.

ووظفت الحركات السرية، ومن كونتهم من علماء الطبيعة، هذه العلوم في توجيه الضربات للكنيسة وعقيدتها في أتون صراعها التاريخي معها لإزاحتها والحلول في وعي الغرب محلها.

وبعض النظريات في علم الفلك وبعض التصورات لشكل الأفلاك والكون، وبصرف النظر عن صحتها فيزيائياً أم لا، كان دافعها زعزعة الكنيسة وتبني النموذج الكوني للحركات السرية الذي كانت تكافح عبر التاريخ لإدخاله في وعي

البشر وإزاحة العقائد ومسألة الألوهية به، وأشهر نموذج لذلك تمدد الكون ومركزية الشمس من الأفلاك.

٢

مع حلول الفيزياء الفلكية محل النصوص في فهم الوجود وتفسيره لم تعد االنتائج التي يصل إليها الفيزيائيون بالرصد والقياس ووسائل العلم التجريبي معلومات مجردة، بل صارت لبنات لإعادة تكوين الكون وتصور شكله وفهم صلته بالزمن ومسألة الألوهية، فكل معلومة جديدة ينتجها المعمل أو الرصد والحساب يتم فلسفتها وتصعيدها وترجمتها إلى فكرة نظرية عن شكل الكون، ثم إلى نظرية في تفسير وجوده وموقع الإله فيه أو نفيه منه.

وفي كل العصور كان يتم تحميل الأفكار النظرية عن الكون التي تكاد تكون عقائد محض على نتائج الرصد والحساب ومزجهما وتقديمهما معاً وكأنهما نتاج منهج واحد وثمرة مشتركة للعلم التجريبي، وهما في الحقيقة مختلفان ونتاج مناهج مختلفة، فأحدهما تجريبي فعلاً، والآخر تصوري نظري وليس ثمرة الرصد والحساب، وهذا التصور يدخل في صناعته التكوين والمعتقدات والموقف من مسألة الالوهية.

والمشكلة هي كيف يمكن الفصل بينهما وتمييز هذا من ذاك، وهي إحدى مشاكل بلاليص ستان التي يسير فيها الأميون الذين يتصدرون واجهتها في كل المناحي وراء كل ما يأتي من جهة الغرب سير البهائم خلف برسيمها.

٣

شكل الكون كله مسألة نظرية، وهي ثمرة التصور الذهني وليست من نتاج الفيزياء التجريبية، ونتائج الرصد والقياس في هذه المسألة ليست سوى نواة حقيقية يقام حولها صرح تصوري.

وكل ما هو موجود في علم الفلك من نظريات عن شكل الكون هي نماذج أو موديل ذهني، ومن ينتجونها هم أنفسهم يعلمون أنه لا وسيلة للقطع بصحة أي منها أو أنها كلها خطأ، لأن الوسيلة اليقينية الوحيدة لمعرفة شكل الكون كاملاً أن يتمكن الإنسان من الخروج منه وأن يراه من خارجه، أو أن يحوز من العلم والتكنولوجيا ما يجعله في حكم من خرج من الكون ورآه كاملاً، وهو ما لم يحدث، وإلى أن يحدث تظل كل النظريات عن شكل الكون فرضيات ونماذج تصورية.

ولتقريب المسألة ومعرفة المفارقة بين الفيزياء التجريبية ونتاج الرصد والقياس وبين شكل الكون، فالأمر مثل أن يوجد إنسان في غرفة يمكنه أن يحدد وهو داخلها شكلها ويقيس أبعادها بدقة، ولكن رصده للغرفة وتحديده لأبعادها لا يُمكِّنه من أن يعرف شكل البناء الذي توجد فيه هذه الغرفة، وكل ما يقوله في هذا الشأن مجرد افتراضات، فقد تكون الغرفة مربعة وهي في قصر مدور، وقد تكون مستديرة والبناء الذي توجد فيه مستطيل فوق الأرض، أو حصن تحت الأرض، أو .. أو.

ومثال آخر: لو سار أحد في طريق يخترق قارة بأكملها أو يمر بين عدة قارات يمكنه أن يقيس طول مسافة من الطريق أو مسافات ويحدد شكلها، ولكن لا يمكنه معرفة شكل الطريق كاملاً إلا إذا خرج منه وصار أعلاه ورأى أجزاءه كلها معاً، فقد تكون المسافة التي قاسها مستقيمة والطريق دائري أو متعرج أو متفرع، أو تكون هي منحدرة والطريق في مجمله صاعد أو مرتفع.

٤

حتى بدايات القرن العشرين كان يبدو من رصد الأفلاك واكتشاف القوانين التي تحكم ما في الكون من مظاهر فيزيائية أن الكون شديد الانضباط وكل شيء فيه منظم ودقيق ومتجانس ومتوافق مع غيره ومناسب تماماً لوجود الحياة على الأرض، وأي خلل في نظامه وعلاقاته يستحيل معه الحياة، بل ويستحيل أن يبقى هو نفسه.

فمقدار قوة الجاذبية في الكون، والتوازن بينها وبين القوة الكهرومغناطيسية، والمسافة بين الأرض والشمس، وبينها وبين القمر، ودرجة الحرارة، ونسبة الأوكسجين في الجو، وآلاف آلاف التفاصيل الفيزيائية، كلها شديدة الإحكام والتناسب فيما بينها والمناسبة للحياة على الأرض، وأي خلل فيها أو خروج على مقاديرها المضبوطة ولو ضئيل يمكن أن يدمر الحياة وينهار معه الكون كله.

وقد تم تصعيد هذا الإحكام والانضباط فلسفياً وتحويله إلى تكأة لتصور ذهني للوجود يقوم على إنكار الألوهية، أو في الحد الأدنى نفي صلة الإله بالطبيعة وقوانينها، لأن الكون يبدو وكأنه ليس في حاجة إلى قوة من خارجه لتحكمه، فهو دقيق منضبط ويحكم نفسه، أو هو كما شبهه نيتشه كالساعة التي تدور من تلقاء نفسها ولا حاجة بها لأن يكون صانعها معها إذا افترضنا وجوده.

٥

ظهور الفيزياء غير التقليدية وميكانيكا الكم وعالم الأجسام تحت الذرية أو المكونات المتناهية الصغر للأجسام والأفلاك أحدث ثورة، وفي بعض الأحيان لوثة، في عالم الفيزياء الفلكية، ونسف كل ما قام من تصورات لشكل الكون ونظامه.

ففي هذا العالم الصغير يبدو كل شئ عشوائياً وغير منضبط، وكل مظاهر الفيزياء احتمالية، وأي ظاهرة يمكن أن تحدث ويحتمل ألا تحدث، والتجربة الواحدة لا تؤدي إلى نفس النتيجة، والذي يرصد الظواهر الفيزيائية رصده لها من عوامل تغيير نتائجها، والنتيجة التي يصل إليها من الرصد والحساب يحتمل ان تكون صحيحة ويحتمل ألا تكون.

والجسيمات نفسها في هذا العالم الكمي لم تعد أجساماً، فكل جسيم له طبيعة جسمية وطبيعة موجية في الوقت نفسه، ويمكن أن يتصرف كجسم أحياناً وكموجة أحياناً أخرى، ولا وسيلة لتحديد متى وكيف ولماذا يتصرف هكذا أو كذلك، ثم صارت

الجسيمات حِزماً من الطاقة، ولا يمكن التنبوء بدقة بسلوكها أو استجابتها للمؤثرات الخارجية.

ترتب على ذلك سؤال أدخل الفيزياء الفلكية وعلماءها في متاهة، وهو كيف تتحول الحركة العشوائية والسلوك الاحتمالي غير المنضبط في هذا العالم الصغير إلى دقة شديدة في العالم الكبير، أو كيف تَنتج القوانين التي تحكم الأفلاك الظاهرة، وهي ثابتة لا تتغير، من هذه الجسيمات الفوضوية التي هي مادتها التي تتكون منها، السؤال هو: كيف ينتج نظام الكون المحكم من سلوك مكوناته العشوائي؟

٦

تصعيد هذا السؤال من المستوى الفيزيائي إلى مستوى فهم الوجود والإسهام في صرح التصور الذهني والعقائدي، كما هو شأن الغرب منذ سقطت الكنيسة والنصوص، أنتج إجابتين، كل منهما نقيض للأخرى.

فالإجابة الأولى هي أن ثمة قوة قاهرة وعاقلة ومدبرة هي التي تهيمن على الكون وتتولى تحويل عشوائيته في المستوى الصغير غير المرئي إلى دقة ونظام وإحكام في المستوى الكبير المنظور، وهي التي تمنح القوانين وجودها، أي الإله.

ومن ثم اضطر أصحاب هذه الإجابة إلى الإقرار بأن الوجود الإلهي ضرورة فيزيائية، ولا يمكن تفسير وجود الكون ونظامه واحتفاظه بقوانينه من غيرها.

وما بعد ذلك فهم في حيرة، لأن ما بعد ذلك ليس له طريق سوى الوحي، والنصوص التي عندهم وكانوا يعتقدون أنها وحي سقطت ولا عودة إليها.

٧

الإجابة الأخرى هي طريقة للالتفاف حول مسألة الألوهية وما ترتب على المفارقة بين الكون المنظور وبين مكوناته غير المرئية من ضرورة الوجود الإلهي، ولتجنب الوحي والنصوص.

وهذه الإجابة هي أن العالم الكمي العشوائي أنتج الكون المرئي بقوانينه الدقيقة المحكمة من خلال مصادفة اتخذت فيها الجسيمات والطاقة وجهاً من السلوك والنشاط أفضى إلى تكوُّن الكون على ما هو عليه بشكله وقوانينه ومخلوقاته وموقع الأرض والإنسان منها.

ولأن هذا الوجه من السلوك للجسيمات والطاقة كان عشوائياً وتكون الكون به كان مصادفة، فجزء من هذه الإجابة افتراض أن ثمة مصادفات أخرى اتخذت فيها هذه الجسيمات والطاقة وجوهاً أخرى من السلوك والنشاط، وأن كل وجه من هذه قدح شرارة تكوين عالم أو كون يناسب هذا الوجه بقوانينه ومخلوقاته وزمانه، وهذه هي نظرية الاكوان المتوازية!

نظرية الأكوان المتوازية، كما هو بائن، ليست بديلاً لنظرية التطور، بل هي وجه منها أو صياغة أخرى لها، وعمادها المصادفات، بالضبط مثل نظرية التطور في كل فروعها البيولوجية والاجتماعية والاقتصادية والفيزيائية.

وما أراه أن من يعتنقون عقيدة التطور لتفسير الوجود والخلق أو يصدقون فرضياتها يجب أن يُخرجوا من تصنيف البشر وأن يوضعوا في حظائر البقر، فكل شيء في التطور تكون بالمصادفات، واكتسب مواصفاته ووظائفه ومناسبتها لتكوينه بخروج كل مصادفة من أخرى وتراكمها عشوائياً.

فمقدار الطاقة التي تصدرها الشمس والمسافة بينها وبين الأرض مصادفات، والقوانين الدقيقة التي تحكم العلاقة بينهما وبين الكون كله تكونت من هذه المصادفات وحدها، والإنسان صار له عينان وتكون له عقل ولسان وعنده قلب ورئتان وكبد وطحال، وكل منها عرف وظيفته وناسبها، وتتعاون معاً من أجل وظيفة عامة واحدة، كل ذلك مصادفة من غير إرادة ولا تدبير ولا تقدير.

٨

تحول العشوائية والفوضى في المستوى الكمي غير المرئي للكون إلى نظام ودقة وإحكام في المستوى الكبير المنظور، ومناسبة كل موجود لوظيفته وتناسبها جميعاً معاً، تفسيره في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾

وقوله تعالى:

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾

٩

الأكوان المتوازية التي تتكلم عنها النظرية ليست مجرد أجرام أو كتل وأجسام، بل هي عوالم كاملة بأكوانها وفيزيائها وقوانينها وزمانها ومخلوقاتها ووسائلها المختلفة في الإدراك والتواصل، وهذه العوالم الأخرى هي فرضية فيزيائية بنيت على السلوك الاحتمالي للجسيمات تحت الذرية في الفيزياء الكمية، ولا علاقة لها بعالم الغيب، فلا علاقة لها بالدار الآخرة أو الجنة والنار، ولا بالسموات والأرضين السبع.

١٠

العوالم المتوازية في القبالاه

كل إجابة من الإجابتين لتفسير كيف تُنتج البنية الكمية العشوائية للكون حركته المنظمة وقوانينه الدقيقة أنتجها تكوين أصحابها وموقع مسألة الألوهية من هذا التكوين، فالذي ما زال فيه بقايا من الفطرة النقية رأى ضرورة الوجود الإلهي، والذي انتكست فطرته وانطمست بصيرته لم ير سوى المصادفات التي حدثت وحدها وترتبت من تلقاء نفسها.

وفي القبالاه أن السفيروت أو شجرة الحياة، التي تمثل بلوراتها العشرة الذات الإلهية، وتناظر كل واحدة منها عضواً في الإنسان وجِرماً في الكون وملكاً من الملائكة، في القبالاه أن السفيروت تقع في أربعة عوالم متوازية، وكل عالم منها توجد فيه سفيروت، وكل سفيروت في عالم منها لها مواصفاتها، وطبيعة مختلفة للكون والمخلوقات فيها، وللصلة بين هذا الكون والمخلوقات وبين الإله.

والسفيروت الأربعة تتواصل من عوالمها معاً عبر القنوات الواصلة بين بلوراتها وتعيد إنتاج الصلة بينها بلا نهاية، فالعالم الأول هو عالم الفيض، وفيه يوجد الكون والمخلوقات في صورة نورانية داخل الإله وفي توحد به، والعالم الثاني عالم الخلق، وفيه تتحول الموجودات إلى روح واعية بنفسها وتكوينها دون أن تتشكل مادياً، والعالم الثالث عالم التشكل، وفيه تتخذ الموجودات صورها المادية دون أن تنفصل عن الذات الإلهية، والعالم الرابع عالم المادة، وهو العالم الفيزيائي المنظور بكونه ومخلوقاته على صورتها المعروفة.

والانتقال من كل عالم إلى الذي يليه يواكبه ضعف صلة الإله بالكون والموجودات، إلى أن تكاد تنعدم هذه الصلة في العالم الرابع ويغيب الإله عن الكون الفيزيائي المنظور.

والعوالم المتوازية في القبالاه ربما تفسر من أين أتت نظرية العوالم المتوازية في الفيزياء، ولماذا يفترض أصحاب هذه النظرية أنه يحتمل أن يكون في مقدور البشر الانتقال بين هذه العوالم عبر ثقوب فيها أو ممرات توصل بينها، والتواصل مع ما فيها من كائنات وموجودات.

١١

المأساة الحقيقية هي بلاليص ستان التي يتلقف الأميون فيها كل ما يأتي من الغرب على أنه حقائق مطلقة دون أن يرد على خلدهم مراجعته أو أن يفهموا فحواه ولا كيف ومن أين أتى.

والمأساة الأكبر من يتوهمون أن كل ما يأتي من جهة الغرب وقد وُضعت عليه يافطة العلم هو حقاً علم، ثم يبدعون في التنقيب عن أي شيء في القرآن أو السنة ليطابقوه بهذا الذي توهموا أنه علم، ولا يميزون في ذلك بين المعلومات والفرضيات، ولا بين ما هو تجريبي وما هو من التصورات.

دكتور بهاء الأمير

القاهرة

٥ شوال ١٤٣٧هـ/١٠ يونيو ٢٠١٦م